نهج البلاغة... لمن؟

بقلم

الشيخ محمد حسن آل ياسين

دار الانوار للمطبوعات ـ بغداد ـ شارع المتنبي

وافقت الدار الوطنية على توزيعه
في الاسواق

* * *

وافقت رقابة المطبوعات على طبعه
بكتابها المرقم ٧٤٤ والمؤرخ
١٩٧٧/١٠/١١

* * *

السعر ١٥٠ فلسا

مطبعة اوفسيت الميناء ـ بغداد

نَهْجُ البَلاغَةِ... لِمَنْ؟

نهج البلاغة... لمن ؟

بقلم

الشيخ محمد حسن آل ياسين

- الطبعة الاولى ـ بغداد ١٣٩٥هـ ـ ١٩٧٥م .
  « مستل من مجلة البلاغ »
- الطبعة الثانية ـ بيروت ١٣٩٥هـ ـ ١٩٧٥ م
- الطبعة الثالثة ـ بغداد ١٣٩٦هـ ـ ١٩٧٦ م
- الطبعة الرابعة ـ بغداد ١٣٩٧ هـ ـ ١٩٧٧ م

- جميع الحقوق محفوظة للمؤلف .

مطبعة اوفسيت الميناء ـ بغداد

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلا معلى خير خلقه سيدنا محمد وآله الطيبين الطاهرين .

* * *

في اوائل عام ١٣٩٥ هـ ـ ١٩٧٥ م طلبت مني مجلة «البلاغ» العراقية كتابة بحث عن نهج البلاغة ومدى صحة القول بنسبته لامير المؤمنين علي بن ابي طالب عليه السلام ، جوابا على سؤال وردها من احد قرائها بهذا الشان .

وحررت يومذاك مقالا موسعا بعنوان « نهج البلاغة .. لمن » استعرضت فيه كل ما قيل من شبهات وشكوك في نسبة هذا الكتاب لعلي (ع)؛ ثم اجبت عن كل شبهة شبهة بما صح علمه وثبت امره، مع مراعاة الاختصار والايجاز ، ملاحظة للمجلة وحجمها وحدود ما ينشر فيها من بحوث(١) .

ثم طلعت علينا مجلة الكاتب المصرية في عدد شهر ايار (مايو) ١٩٧٥م تحمل مقالا بقلم الاستاذ محمود محمد شاكر حمل فيه حملة شعواء على نهج البلاغة وعلى كل قائل بكونه من كلام علي

---

(١) مجلة البلاغ/العدد الثالث/السنة الخامسة/١٣٩٥هـ ـ ١٩٧٥

عليه السلام . وقد اثارت تلك الحملة من الاشفاق على الكاتب ومن الابتسامة على شفاه المحققين اكثر مما اثارت من استغراب واستهجان . وبادرت الى كتابة رد مفصل على تلكالاقاويل وابردته بالبريد المسجل المضمون الى ادارة المجلة ، ولكنه ـ فيما اعلم ـ لم ينشر ولم يشر اليه ، وربما ارادت المجلة بهذا الاهمال للرد ان تؤكد موضوعيتها ومنهجيتها في عهدها الجديد ! .

وفي صيف ذلك العام نفسه تجولت في عدة اقطار عربية ، والتقيت خلال تلك الجولة بعديد من الاعلام والمثقفين والباحثين وكان للتراث من احاديثنا حصة الاسد واكثر النصيب ـ ونهج البلاغة قمة التراث وابرز معالمه ـ ، ولمست من هؤلاء الافاضل اصرارا على نشر بحث في سند « النهج » يبدد الشكوك ويضع النقاط على الحروف ـ على حد تعبير الكتاب المعاصرين ـ ، فلما انتهى بي المطاف الى بيروت ـ يرحمها الله ! ـ اعدت نشر ذلك البحث في كراس مستقل زودت به هؤلاء الاصدقاء؛ تعبيرا عن شكري لهم ونزولي عند رغبتهم العزيزة الغالية .

* * *

واستمرت المطابع العربية تدور فتلقي في كل يوم كميات هائلة من الكتب والنشرات والصحف ، ولابد للمتتبع من السير وراء تلك المطابع ليقرأ شيئا من ذلك الزخم العظيم في الانتاج ؛ بعد ان اصبح الوقوف على الكل خارج طاقة الانسان .

وحصلت عندي القناعة التامة خلال شهور لاتبلغ السنة ان هناك حملة عنيفة مدبرة على نهج البلاغة ـ وان لم تكن عن اتفاق وارتباط

سابقين ـ وان هناك هدفا (كبيرا !) يهدف اليه هؤلاء السادة ! من وراء هذه الحملة المدبرة .

فبعد (مايو) مجلة الكاتب ومقال محمود محمد شاكر ، يطل علينا (ديسمبر) مجلة الهلال ومقال للدكتور شفيع السيد ، ثم (شباط) مجلة العربي ومقال للدكتور محمد الدسوقي . ولو انتظرنا سنة ثانية لراينا شهورا اخرى ومجلات جديدة تدخل القائمة لتحتل فيها « مكاناً ما » من مواقع الهجوم و « رقماً ما » من ارقام الحملات .

فلماذا كل ذلك ؟

وما هي « الاخطار » الفكرية التى يحملها نهج البلاغة لتشنّ عليه الحرب بهذا الشكل المتوالي المنظم ؟! .

وهل يتوقف بناء « الثقافة الجديدة ! » التى يدعو اليها اخواننا الاعزاء في مصر والكويت على هدم نهج البلاغة وتحطيمه ؟! .

وهل يشكل نهج البلاغة سداً يعوق عن الدعوة القائمة هناك في ضرورة « الانفتاح » على « الافكار ! » المعاصرة فلا يجد الدعاة بدّاً من تحطيم هذا السدّ العائق والعقبة المانعة ؟! .

لا ادري ! ولا المنجم يدري !

* * *

والشيء المضحك المبكي في كل ذلك أن يكون من جملة الاسلحة الجديدة في هذه المعركة « شيء » لم يخطر ببال احد ولم يدر في

خلد انسان ، ولعل هذا هو معنى الجدة والابتكار والاتيان بما لم تستطعه الاوائل ! .

ان محمود محمد شاكر يرى من جملةادلة وضع نهج البلاغة وتلفيقه انه « كلام كثير الغثاثة » (١) .

وعندما يقولهذا الرجل عن نهج البلاغة انه « كلام كثير الغثاثة » نجد ـ مقتنعين ـ ان الرجل قد شهر سلاحا جديدا في المعركة لم يشهره غيره ؛ ولكنه ـ ويالاسف ـ سلاح فاسد يرتد الى الوراء كما ارتدت الاسلحة الفاسدة في عهد الملك السيء الصيت فاروق !! .

واذا كان في المشككين القدامى من نسب النهج للشريف الرضي فانما دفعه الى ذلك كون الرضي اديبا كبيرا اشتهر بسمو التعبير وفصاحة التركيب وبداوة اللفظ .

اما ان يكون في النهج « كلام كثير الغثاثة » فذلك ما لم يقله انسان من الناس بما فيهم المشككون انفسهم . وحسبنا ان نقرا للدكتور شفيع السيد ـ اخير المشككين وليس آخرهم ـ ما ذكر في هذا الصدد اذ قال « ... فضلا عما اشتهر به الامام من بلاغة القول ورصانة العبارة،على نحولا تستبعد معه نسبة تلكالنصوص اليه من حيث تركيبها اللغوي وتشكيلها البياني » (٢) .

* * *

(١) مجلة الكاتب المصرية/العدد ١٧٠/مايو ١٩٧٥م/ص ٣٠ـ٣١.
(٢) مجلة الهلال / العدد ١٢/ السنة ٨٣/ ص ٩٥ .

ثم كان السلاح الثاني من تلك الاسلحة الجديدة المشهرة في هذا الميدان : ذلك التاكيد على الربط بين « الغلو » وبين القول بصحة نسبة نهج البلاغة لعلي عليه السلام .

ولنقرا ـ معا هذه الجمل لتتضح لنا معالم هذا السلاح الجديد:
يقول الدكتور شفيع السيد :

« ان بعضاً منهم (اي الشيعة) غالى في تقديره له (لعلي) حتى رفعه الى مستوى من اصطفاهم الله بالوحي . ومن هؤلاء الرضي نفسه في مقدمته للكتاب ، فقد علل سبقه ـ رضي الله عنه ـ في مضمار البيان وتفوقه على كل من عداه من الخطباء والبلغاء ؛ بان كلامه ـ عليه السلام ـ «الكلام الذي عليه مسحة من العلم الالهي وفيه عبقة من الكلام النبوي (١) » .

وليس لنا من تعليق على هذا الكلام اذا كان استاذ اللغة العربية وآدابها لا يعرف معنى « مسحة » و « عبقة » ، ولايرى لها مدلولا الا «الغلو» والاصطفاء بالوحي ! .

* * *

واذا استثنينا هذين «السلاحين» الجديدين فان كل ما قيل اخيرا انما هو تكرار لما قاله الاولون وان اختلفت الصياغة وتطورت اساليب التعبير .

(١) المصدر نفسه : ٩٥ .

وسيجد القارىء الكريم في تضاعيف البحث تلك الشبهات والشكوك بالتفصيل .

وكل املي ان يكون لهذا الكتيب الصغير ما يكون لكوة النور من مجال ودور ، احقاقا للحق ، وكشفاً للغطاء عن الحقيقة ، وازالة لظلام عهود العصبية والهوى المقيت . فان نجحت في ذلك فما اسعد الحظ ، وان لم انجح فحسبي انى قد حاولت (والحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا ان هدانا الله) .

وآخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين .

العراق ـ بغداد ـ الكاظمية : **محمد حسن آل ياسين**

١٠/رجب/١٣٩٦ هـ

أحالت علي مجلة « البلاغ » الزاهرة رسالة وردتها من احد قرائها يسأل فيها عن مدى صحة الكلام الذي يردده بعض الناس ، في التشكيك بنسبة « نهج البلاغة » لامير المؤمنين علي بن ابي طالب عليه السلام ، وفي اتهام الشريف الرضي بوضع تلك الرسائل والخطب .

وتلبية لطلب « البلاغ » اضع هذه الصفحات امام صاحب السؤال المشار اليه وامام جميع القراء الاعزاء بامل ان تكون ـ على اختصارها ـ وافية بالغرض ومؤدية لحق البحث ، والله ولي التوفيق .

ان كتاب « نهج البلاغة » ـ كما يعلم الباحثون المدققون ـ قد جمعه الشريف الرضي محمد بن الحسين المتوفى سنة ٤٠٦هـ واودع فيه ما اختاره من كلام امير المؤمنين عليه السلام ، وقد اتم جمعه في رجب سنة اربعمائة للهجرة كما نص هو على ذلك في آخر الكتاب . ووهم جورجي زيدان ـ كعادته في اوهامه واغاليطه ـ فنسب جمع النهج للشريف المرتضى علي بن الحسين(١) .وانه لغلط فاحش لا يغتفر ربما تابع فيه ـ بغير هدى وتثبت ـ استاذه بروكلمان الذي قال : « والصحيح انه من جمع الشريف المرتضى »(٢) .

---

(١) تاريخ آداب اللغة العربية : ١٨١/١ و ٢٨٨/٢ .
(٢) تاريخ الادب العربي ـ الترجمة العربية ـ : ٦٤/٢ .

ولو رجع بروكلمان وجورجي زيدان ومن شايعهما وتابعهما الى كتابي الشريف الرضي : حقائق التاويل والمجازات النبوية ـ وهما مطبوعان ومعروفان ـ لوقفا على تكرار الاشارة من الرضي الى كونه هو الجامع لكتاب النهج(١) .

ومع ظني الراجح بأن هذه الحقيقة لم تكن خافية على الاستاذ محمود محمد شاكر ـ كما خفيت على سلفيه السابقين ـ فانه حاول ايهام القارىء بما طرحه من تشكيك فى كون الجامع للنهج هو الرضي او المرتضى(٢) .

وحظي هذا الكتاب من الاهمية والشأن بما لم يحظ به كتاب غيره على مر العصور ، واصبح له من الشروح ما بلغ (٧٥) شرحا في حساب بعض المؤلفين(٣) و (١٠١) من الشروح في حساب مؤلف آخر(٤) .

---

(١) حقائق التاويل : ١٦٧ والمجازات النبوية : ٤٠ و ٦٠ و ١٥٢ و ١٨٩ و ٢٨٥ .
ومن مغالطات الدكتور شوقي ضيف في كتابه تاريخ الادب العربي ـ العصر الاسلامي : ص ١٢٨ : انه اعتبر اعتراف الشريف الرضي بجمعه للنهج دليلا على وضعه اياه ! وما ادري متى اصبح الجمع وضعا ؟!! .

(٢) مجلة الكاتب / العدد ١٧٠ / ص ٣٠ .

(٣) الغدير للاميني : ٤/١٦٤ـ١٦٩ .

(٤) مصادر نهج البلاغة للحسيني : ١/٢٤٨ـ٣١٣ . وقال الدكتور شفيع السيد ان معظم شراح نهج البلاغة هم من الشيعة (الهلال /العدد١٢ / السنة ٨٣/ص ٩٦) ، ثم سمى عددا من هؤلاء الشراح وكان معظمهم من غير الشيعة !!

وليس غريبا ان يكون للنهج كل هذه الاهمية وهذا الشان ، فقد كان علي « امام الفصحاء وسيد البلغاء ، وفي كلامه قيل : دون كلا م الخالق وفوق كلام المخلوقين . ومنه تعلم الناس الخطابة والكتابة » كما يروي عزالدين بن ابي الحديد .

ويقو لعبد الحميد بن يحيى الكاتب : « حفظت سبعين خطبة من خطب الاصلع ففاضت ثم فاضت » .

ويقول ابن نباتة : « حفظت من الخطابة كنزا لايزيده الانفاق الا سعة وكثرة ، حفظت مائة فصل من مواعظ علي بن ابي طالب » .

« ولما قال محفن بن ابي محفن لمعاوية : جئتك من عند اعيا الناس [يعني عليا] قال له :

ويحك كيف يكون اعيا الناس ! فوالله ما سن الفصاحة لقريش غيره »(١) .

ويقول الشيخ محمد عبده : « وليس في اهل هذه اللغة الا قائل بأن كلام الامام علي بن ابي طالب هو اشرف الكلام وابلغه بعد كلام الله تعالى وكلام نبيه ، واغزره مادة وارفعه اسلوبا واجمعه لجلائل المعاني »(٢) .

---

(١) يراجع فيما سبق : شرح نهج البلاغة : ١/٢٤ـ٢٥ .
(٢) نهج البلاغة ـ تعليق محمد عبده :١/٥ .

ويقول الدكتور زكي نجيب محمود :

« ونجول بانظارنا في هذه المختارات من اقوال الامام علي التي اختارها الشريف الرضي (٩٧٠م ــ ١٠١٦ م) واطلق عليها نهج البلاغة ؛ لنقف ذاهلين امام روعة العبارة وعمق المعنى ، فاذا حاولنا ان نصنف هذه الاقوال تحت رؤوس عامة تجمعها ؛ وجدناها تدور ــ على الاغلب ــ حول موضوعات رئيسية ثلاثة ، هي نفسها الموضوعات الرئيسية التي ترتد اليها محاولات الفلاسفة قديمهم وحديثهم على السواء ، الا وهي : الله والعالم والانسان . واذن فالرجل ــ وان لم يتعمدها ــ فيلسوف بمادته ، وان خالف الفلاسفة في ان هؤلاء قد غلب عليهم ان يقيموا لفكرتهم نسقا يحتويها على صورة مبدأ ونتائجه ، واما هو فقد نثر القول نثرا في دواعيه وظروفه »(١) .

ولقد عز على بعض « الناس » ! من المتقدمين ان يكون نهج البلاغة انموذجا من كلام علي وصورة مصغرة من منهجه العام فى الدين والسياسة والادارة العامة للدولة مما أراد تطبيقه عندما آلت الخلافة اليه ، فتوجهوا بسهام الشك نحوه زاعمين « انه ليس من كلا م علي ، وانما الذي جمعه ونسبه اليه هو الذي وضعه »(٢).

---

(١) المعقول واللامعقول في التراث العربي : ٣٠ .
(٢) وفيات الاعيان لابن خلكان : ٣/٣ ، وقد تابعه على زعمه هذا كل من الصفدي في الوافى بالوفيات : ٣٧٥/٢ واليافعي في مرآة الجنان : ٥٥/٣ وابن حجر في لسان الميزان ٢٢٣/٤ .

وجاء المتاخرون فسار « بعضهم » على طريق ذلك « البعض » السالف الذكر فرددوا تلك الشبهات وكرروا تلك الشكوك ، وكان من جملتهم جورجي زيدان الذي يقول : « وان كنا نرى ان كثيرا من تلك الخطب ليست لعلي بدليل اختلاف الاسلوب ومخالفة ما فيها من المعاني لعصره ! » (١) .

وكذلك المسيو ديمومبين الذي اراد ــ كما يروي الدكتور زكي مبارك ــ « ان يغض من قيمة ما نسب الى علي بن ابي طالب من خطب ورسائل ، استنادا الى ما شاع منذ ازمان من ان الشريف الرضي هو واضع نهج البلاغة » (٢) .

ثم سار على طريقهما الاستاذ محمود محمد شاكر الذى ساءه اعجاب الدكتور زكي نجيب محمود بشخصية علي بن ابي طالب اعتمادا على اقواله المودعة في نهج البلاغة وحز فى نفسه قول الدكتور زكي نجيب : « لننظر كم اجتمع في هذا الرجل من ادب وحكمة وفروسية وسياسة » ، فثارت ثائرته واندفع يعلق على ذلك تعليقا مفصلا مشحونا بالجعجعة والطنين قائلا : « الم يكن

---

(١) تاريخ آداب اللغة العربية : ٢٨٨/٢ .
وتناقض الدكتور شوقي ضيف تناقضا عجيبا في هذا الموضوع وفي صفحة واحدة من كتابه ص١٢٨، فذهب اولا الى ان عليا قد خلف خطبا كثيرة ، ثم ذهب ثانيا الى ان النهجمن وضع الشريف الرضي ، ثم رجع ــ وفي ثالثة الاثافي ــ ان الوضع على علي اقدم من عصر الشريف بل من عصر المسعودي !!! فانظر وتامل ..
(٢) النثر الفني في القرن الرابع الهجري : ٦٩/١ .

اسلم له في طريقه ان يسأل وان يحاول ان يفكر على الاقل حتى يتثبت من صحة نسبة ما فيهذا الكتاب من الاقوال الى علي رضي الله عنه ؟ انه اذا بطل ان يكون هذا الكلام صحيح النسبة الى علي ، كان استخراج صورة علي منه ضربا من العبث »(١) .

واردف قائلا وهو يعلن فتواه العجيبة الغريبة :

« ان النظرة الاولى الى جملة ما فى الكتاب من الكلام ، تقطع بأن كثرته الكاثرة لم تجر على لسان علي رضي الله عنه قط ، وانه بعد الفحص الاول المدقق لايكاد يسلم منه لعلي رضي الله عنه الا اقل من العشر ، فاذا كانت النسخة التي طبعها الشيخ محمد عبده ، تقع في نحو ٤٠٠ صفحة ، فلا يكاد يصح منها الا اقل من اربعين صفحة » (٢) .

ثم لايورد دليلا على ذلك سوى اعتقاده بان في النهج اقوالا لا يليق صدورها عن رجل مثل علي وان ابا عبيد القاسم بن سلام لم يشرح في كتابه غريب ما فى النهج باجمعه ، بل « ان حديث علي فيه ربع حديث عمر » .

ثم أراد ان يزيد القارىء ثقة بما يقول فاضاف :

« وهناك ادلة اخرى على بطلان نسبة ما في هذا الكتاب الى امير المؤمنين »(٣) .

(١) مجلة الكاتب : ص٣٠/العدد ١٧٠/السنة ١٥ مايو ١٩٧٥م
(٢) مجلة الكاتب / المصدر السابق / ص ٣٠ .
(٣) المصدر نفسه ص ٣١ .

ولكنه لم يذكرها ابدا ابدا !!

ومع ذلك فقد تفضل فزادنا علما فقال :

« فكتاب كهذا الكتاب ، يدل صريح العقل والنظر وصريح النقل والتثبت على انه كتاب قريب النسب كان غير لائق بالدكتور زكي ان يتسرع الى التقاطه دون ان يفحصه ويتحرى عنه فيجعل ما فيه من كلام كثير الغثاثة ـ وقد كتب اكثره بعد دهور متطاولة ـ ممثلا لعلي بن ابي طالب وممثلا ايضا للقرن الاول من الهجرة » (١) .

وهكذا تعاون هؤلاء جميعا ـ بلا سابق معرفة بينهم ـ في محاولة هدم هذا الصرح الفكري العظيم الذي يمثله « النهج » ابلغ تمثيل .

وتصدى عدد من الكتاب والادباء والباحثين الى رد هذه الفرية واقامة البرهان على زيف هذه المزاعم وكذب هذه الادعاءات.

وكان في طليعة من تصدى لتفنيد هذه الشبهات اديب عصره عز الدين بن ابي الحديد في شرحه للنهج ، ونروي في ادناه فقرات مما كتبه هذا الاديب :

« ان كثيرا من ارباب الهوى يقولون : ان كثيرا من نهج البلاغة كلام محدث ، صنعه قوم من فصحاء الشيعة ، وربما عزوا

(١) المصدر نفسه ايضا : ٣١.

بعضه الى الرضي ابي الحسن وغيره ، وهؤلاء قوم اعمت العصبية اعينهم ، فضلوا عن النهج الواضح ... وانا اوضح لك بكلام مختصر ما فى هذا الخاطر من الغلط فاقول :

لايخلو اما ان يكون كل نهج البلاغة مصنوعا منحولا ، او بعضه .

والاول باطل بالضرورة لانا نعلم بالتواتر صحة اسناد بعضه الى امير المؤمنين عليه السلام ، وقد نقل المحدثون كلهم او جلهم والمؤرخون كثيرا منه ، وليسوا من الشيعة لينسبوا الى غرض فى ذلك .

والثاني يدل على ما قلناه ، لان من قد انس بالكلام والخطابة، وشدا طرفا من علم البيان وصار له ذوق في هذا الباب ، لابد ان يفرق بين الكلام الركيك والفصيح ، وبين الفصيح والافصح ، وبين الاصيل والمولد ، واذا وقف على كراس واحد يتضمن كلاما لجماعة من الخطباء ، او لاثنين منهم فقط ، فلابد ان يفرق بين الكلامين ويميز بين الطريقتين . الا ترى انا مع معرفتنا بالشعر ونقده ، لو تصفحنا ديوان ابي تمام ، فوجدناه قد كتب في اثنائه قصائد او قصيدة واحدة لغيره لعرفنا بالذوق مباينتها لشعر ابي تمام ونفسه وطريقته ومذهبه في القريض .... وانت اذا تاملت نهج البلاغة وجدته كله ماءا واحدا ونفسا واحدا واسلوبا واحدا كالجسم البسيط الذي ليس بعض من ابعاضه مخالفا لباقي الابعاض في الماهية ، وكالقرآن العزيز ، او له كاوسطه ، واوسطه كآخره .... فقد ظهر لك بهذا البرهان الواضح ضلال من زعم

ان هذا الكتاب او بعضه منحول الى امير المؤمنين عليه السلام»(١) .

ولما كان بعض الكتاب المعاصرين ــ وان امتهنوا استاذية الادب ــ يجهلون هذا الاسلوب النقدي الفاحص في دراسة النصوص الادبية لم يجد احدهم مانعا من ان يقول ما نصه :

ان « نسبة الشريف الرضي ــ جامع الكتاب ــ الى البيت العلوي ... يمكن ان تكون مدعاة للشك ودافعا الى الاتهام بالتحيز والتعصب .... وقد قال عنه بعض واصفيه : كان شاعرا مفلقا فصيح النظم ضخم الالفاظ .. وكان مع هذا مترسلا كاتبا بليغا متين العبارات ، فمن اليسير على مثله اذن ان يؤلف من الكلام ما يشاكل كلام علي رضي الله عنه في جزالة الالفاظ ومتانة السبك »(٢) .

ويروي ابن ابي الحديد عن شيخه ابي الخير الواسطي : ان ابا الخير سأل يوما استاذه ابن الخشاب بعد انتهائهما من قراءة خطبة علي المعروفة بالشقشقية : « اتقول انها منحولة ! فقال : لا والله واني لاعلم انها كلامه كما اعلم انك مصدق . قال : فقلت له : ان كثيرا من الناس يقولون انها من كلام الرضي رحمه الله تعالى . فقال انى للرضي ولغير الرضي هذا النفس وهذا الاسلوب ! وقد وقفنا على رسائل الرضي وعرفنا طريقته وفنه في الكلام المنثور ..

---

(١) شرح نهج البلاغة : ١٠/١٢٧ــ١٢٩ .
(٢) الدكتور شفيع السيد/مجلة الهلال المصرية/العدد١٢ السنة٨٣ ص ٩٥ ــ ٩٦ .

ثم قال : والله لقد وقفت على هذه الخطبة في كتب صنفت قبل ان يخلق الرضي بمائتي سنة ، ولقد وجدتها مسطورة بخطـــوط اعرفها واعرف خطوط من هو من العلماء واهل الادب قبل ان يخلق النقيب ابو احمد والد الرضي »(١) .

ويعلق ابن ابي الحديد على هذه الخطبة نفسها فيقول :

« وقد وجدت انا كثيرامن هذه الخطبة في تصانيف شيخنا ابي القاسم البلخي امام البغداديين من المعتزلة ، وكان في دولة المقتدر قبل ان يخلق الرضي بمدة طويلة . ووجدت ايضا كثيرا منها في كتاب ابي جعفر ابن قبة .... وكان .... من تلامذة الشـــيخ ابي القاسم البلخي رحمه الله تعالى ومات في ذلك العصر قبل ان يكون الرضي رحمه الله تعالى موجودا »(٢) .

وعندما ترجم الامام الزيدي يحيى بن حمزة العلوي المتوفى سنة ٧٤٥ هـ لعلي عليه السلام قال: «واعظم كلامه ما حواه كتاب نهج البلاغة وقد تواتر نقله عنه واتفق الكل على صحته »(٣) .

ويقول الكاتب المصري المعاصر محمد عبد الغني حسن :

---

(١) شرح نهج البلاغة : ١/٢٠٥ .
(٢) شرح نهج البلاغة : ١/٢٠٥ـ٢٠٦.
ومن التامل في حديث ابن ابي الحديد عن نسب نهج البلاغة ونسبته نجد انه لم يكن «مغفلا» عندما اعتقد «ان مايشرحه خطب للامام علي» كما وصفه الدكتور طه حسين على رواية الدكتور محمد الدسوقي عنه (مجلة العربي/العدد ٢٠٧/ شباط ١٩٧٦م / ص ١٤٨). وانما كان باحثا متعمقا وناقدا متأملا ؛ وان تميز بعيب كبير هو التجرد من الهوى والعصبية!
(٣) مشكاة الانوار : ١٧٥ .

« ولن نعيد هنا القول فيما لوى به بعض المتعنتين اشداقهم من ان نهج البلاغة هو من كلام الشريف الرضي نفسه وانه ليس للامام علي كرم الله وجهه . فتلك قضية احسن الدفاع فيها ابن ابي الحديد في القديم كمااحسن الدفاع عنها في زماننا هذا الشيخ محمد محي الدين عبد الحميد »(١) .

كما يقول الدكتور زكي مبارك تعليقا على شكوك المســـيو ديمومبين :

« اما نحن فنتحفظ في هذه المسالة كل التحفظ لان الجاحظ يحدثنا ان خطب علي وعمر وعثمان كانت محفوظة في مجموعات . ومعنى هذا ان خطب علي كانت معروفة قبل الشريف الرضي . والذين نسبوا نهج البلاغة الى الرضي يحتجون بانه وضعها لاغراض شيعية ، فلم لانقول من جانبنا بان تهمة الوضع جاءت لتاييـــد خصوم الحملات الشيعية »(٢) .

ومهما يكـن من امر !

وعلى الرغم من ضيق هذه الصفحات وعدم اتساعها لبحـــث هذا الموضوع كما يستحقه من اطناب وتفصيل ، فاننا سنستعرض المسالة بالقدر المناسب لهذا المجال وحجمه ، فنوجز ـ بامانة ـ عرض الشبهات التي يرددها الشكاك في هذا الصدد ، كما نوجـز عرض الاجوبة والردود على كل ذلك ، ليحصحص الحق وينكشف الزيف ويتجلى الصبح لكل ذي عينين .

---

(١) تلخيص البيان ـ المقدمة : ٩٦ .
(٢) النثر الفني : ١/٦٩ .

الشـــبهات :

الاولى ــ التعريض بصحابة رسول الله (ص) . وذلك مـا لا يتناسب ومقام الامام وعظمة خلقه وسمو نفسه .

الثانية ــ تكرر لفظي « الوصي » و « الوصاية » في نهـــج البلاغة . وتلك لفظة لم يكن يعرفها المسلمون يومذاك ، وانمـــا ابتدعها المبتدعون بعد ذلك التاريخ بمدة طويلة .

الثالثة ــ طول بعض الخطب الواردة في النهج كما في الخطبة المسماة بـ « القاصعة » والاخرى المسماة بـ « الاشباح » ، وكذلك طول بعض الكتب كـ « العهد » المكتوب لمالك الاشتر عندما ولاه الامام أمر مصر . وذلك ما يخالف الاسلوب المألوف لدى الصحابـة وغيرهم من البلغاء او انذاك.

الرابعة ــ السجع والتنميق والصنعة اللفظية والزركشـــة في التعبير . وذلك ما لم يعرفـه الادب العـربي الا بعـد عصر الامـام .

الخامسة ــ دقة الوصف كما في الخطب المعنية بوصـــف الخفاش والطاووس والنملة والجرادة . وذلك ما لم نجد له مثيـلا في المأثور من كـلام العرب في صدر الاسلام : وانمـا هو من آثار تعريب التراثين اليوناني والفارسي وتأثر العرب به ، وهو متأخـر عن عصر الامام بكثير .

السادسة ــ استعمال الاحصاءات العددية كقوله : « الاستغفار على ستة معان » وكقوله : « الايمان على اربع دعائم » وكقوله : « الصبر على اربع شعب » . وهذا ايضا من آثار التأثر بالتعريب ،

ولم يكن معروفا او مألوفا في عصر الامام .

السابعة ــ ورود عبارات في النهج قد يستشف منها القارىء ادعاء علي علم الغيب . وذلك ما يجب ان يكرم مقام الامام عنه ، لانه من خصائص النبوة التي لا يصح ادعاؤها لاي شخص بعـد النبي (ص) .

الثامنة ــ الاكثار من كلمات الزهد وذكر الموت . وهذا مـن نتائج التأثر بالمنهج المسيحي من جهة وبالحركة الصوفية من جهـة اخرى . وذلك كله متاخر جدا عـن عصر علي .

التاسعة ــ رواية بعض الكتب والمراجع القديمة لبعـــض الجمـل الواردة في النهج منسوبة الى اشخاص آخرين .

العاشرة ــ خلو كثير من كتب اللغة والادب من الاستشهاد بما ورد في نهج البلاغة . واعراض اولئك الاعلام عن الاستشهاد بكلام الامام دليل على رفضهم لصحة انتسابه لعلي عليه السلام .

هذه هي خلاصة وجيزة وامينة لكل ما قيل من شكوك وشبهات في مسألة انتساب نهج البلاغة للامام . ونورد في ادناه جواب هذه الشبهات بالتسلسل ، عسى ان يكون فيه ما يرضي الباحـــث ويقنـع الحائر فنقول :

جواب الشبهة الاولى

ان الصحبة ـ في اللغة ـ لا تدل على اكثر من المعاشـــرة والمعاصرة ، ولا علاقة لها بتوافق الراي وانسجام العقيدة بـــين الصاحبين ابدا ، ويقول تعالى في محكم كتابه : (قال له صاحبه وهو يحاوره اكفرت بالذي خلقك) ويقول تعالى مخاطبا كفرة مكة : (ما بصاحبكم من جنة) والى آخر ما هنالك من شواهـد قرآنية وحديثية وشعرية .

ومن هنا يظهر ان من عاصر رسول الله ـ ص ـ وعاشره وان صح اطلاق لفظ « الصاحب » عليه لايمكن ان يوصف بالايمان والتقى والورع والوثاقة لمجرد تلك المعاصرة والمعاشرة ، بل لابـد من دراسة شاملة لاعمال ذلك الصحابي ليرى من سلوكه وتدينه والتزامه مدى استحقاقه لصفة الوثاقة وللتزكية الحقيقية له في ضـوء ذلك كلـه .

وحسبنا دليلا على ذلك ما رواه البخاري عن النبي ـ ص ـ من قوله : « ليرفعن الي رجال منكم حتى اذا اهويت لاناولهـم اختلجوا دوني ، فاقول : اي رب اصحابي ، يقول : لاتدري مـا احدثوا بعدك » وفي نص آخر : «فاقول : امتي ، فيقول : لاتدري مشوا على القهقرى » ، وفي نص ثالث : « فيقال : انك لاتدري ما بدلوا بعدك ، فاقول : سحقا سحقا لمن بدل بعدي »(١) .

---

(١) صحيح البخاري : ٩/٥٨ـ٥٩ .

وفي لفظ ابن ماجة : « ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ويحكم او ويلكم لا ترجعوا بعدي كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض » (١) .

واذن . فليس كل صحابي منزها من الذم ، وليس كل صحابي محرم الثلب ، ولذلك فلا مانع ـ ابدا ـ ان يذكر علـي بالذم والثلب من يستحق ذلك منهم ، خصوصا وان بعضهم قد شهر السلاح بوجهه واعلن الحرب عليه وكان يود قتله وسفك دمه مهما كانت الوسائل وباي سبيل كان .

ومن هنا نرى ان كلمات الذم هذه لم تكن بالشكل الـذي « لايليق صدورها عن رجل مثل علي في دينه وعلمه وتقواه » كما يزعم محمود محمد شاكر ، ولم تكن مما يجب انكاره « تنزيها لعلي عن الهبوط الى هذا المستوى » كما يدعي الدكتور شفيع السيد .

وهل يعتبر ذم الناكثين والقاسطين والطعن في المارقـين والمنحرفين عملا منافيا للتقوى او مخالفا لاحكام الدين !!

ولذلك ، فلم يكن من المستبعد ان يذم علي هؤلاء واشباههم،

---

(١) سنن ابن ماجة : ٢/١٣٠٠

وليس في ورود مثل هذا الذم في كلامه ما يحمل على الشك في انتساب ذلك الكلام اليه . خصوصا وانه قد اثنى على الصحابة الملتزمين الاثبات ثناء جميلا بلغ حد التاوه والحنين على فراقهم ، وعلل حنينه عليهم لانهم « تلوا القرآن فاحكموه ، وتدبروا الفرض فاقاموه ، احيوا السنة واماتوا البدعة .. الخ »(١) .

وهذه هي الموضوعية المذهلة الرائعة التى سار عليها علي طيلة حياته : يقول الحق ، وينطق بالصدق ، يمدح من استحق المدح ، ويذم من استاهل الذم ، ولا تاخذه في كل ذلك لومة لائم .

(١) نهج البلاغة : ٣٤٤/١ .

جواب الشبهة الثانية :

ان كلمة « الوصية » ومشتقاتها قد تكررت في القرآن الكريم عدة مرات(١) ، كما تكررت في كلام النبي ـ ص ـ مرات ايضا ، ومنها ما اعلنه في اجتماع الانذار عندما قال النبي ـ ص ـ : «فايكم يؤازرني على هذا الامر على ان يكون اخي ووصيي وخليفتي فيكم؟ فاحجم القوم عنها جميعا فقام علي فقال انا يا نبي الله .. الخ»(٢).

كما ان هناك احاديث نبوية متعددة وصف فيها علي بـ « الوصي » او « افضل الاوصياء » او « خاتم الوصيين » رواتها كتب كثيرة ومراجع شهيرة معتمدة عند المسلمين(٣) .

ونظم الشعراء هذا المعنى فى ذلك العصر ، وكان منهم رجل اللغة والنحو ابو الاسود الدؤلي الذي يقول :

احب محمدا حبا شديدا
وعباسا وحمزة والوصيا(٤)

وكان منهم حسان بن ثابت الذي يقول من جملة قصيدة يخاطب بها عليا :

(١) سورة البقرة/١٨٢ والنساء /١١و١٢ والمائدة/١٠٦ والى غير ذلك .
(٢) تاريخ الطبري : ٣١٩/٢ـ٣٢١ والكامل لابن الاثير : ٤١/٢ـ ٤٢ وشرح نهج البلاغة : ٢١١/١٣ .
(٣) يراجع في معرفة هذه المصادر والوقوف على نصوصها كتاب الغدير : ٢٥٢/٢ـ٢٦٠ .
(٤) ديوان ابي الاسود الدولي : ٧٣ .

الست اخساء في الهدى ووصيه
واطم منهم بالكتاب وبالسنن (١)

وكذلك النعمان بن العجلان الذي يقول في الثناء مقطعة له :

وصي النبي المصطفى وابن عمه
وفارس فرسان الضلالة والكفر(٢)

والى كثير من الشعراء الذين عدد ابن ابي الحديد فصلا خاصا لهم ولما ورد في شعرهم من «وصاية» علي ، وهم عدد كبير من البدريين وآخرون من الصحابة والتابعين(٣) .

اما الشعراء المتأخرون من ذلك العهد ـ عهد الصحابة والتابعين ـ فقد تكررت في شعرهم كلمة « الوصي » نعتا خاصا بعلي ، ولكننا لا نرى المجال متسعا لسرد ذلك كله ، ومثله القول في غير الشعراء من المؤرخين وكتاب التراجم وسائر المؤلفين .

والذي ـ فكلمة « وصي » نبوية اصيلة لا يسع المسلم ولا غير المسلم نكران اصالتها اللغوية والدينية والتاريخية ، وقد استعملها الجيل الاول من اجيال الاسلام بمعناها الخاص الذي نعانيه .

---

(١) الموفقيات : ٥٩٨ وشرح نهج البلاغة : ٦/٣٥ .
(٢) الموفقيات ايضا : ٥٩٢ .
(٣) شرح نهج البلاغة : ١/١٤٣ـ١٥٠ وقال ابن ابي الحديد تعليقا على هذه الاشعار انه نظمها عمن «ليس من الشيعة ولا معدودا من رجالها» وان « الاشعار التي تتضمن هذه اللفظة كثيرة جدا ولكنا ذكرنا منها ها هنا بعض ما قيل »

جواب الشبهة الثالثة :

ان الطول والقصر في الخطبة والعهد والرسالة انما يرتبط بمناسبة الكلام ، وقد عرف العلماء البلاغة : بانها مطابقة الكلام لمقتضى الحال ، فاذا اقتضت الحال التطويل كان على البليغ ان يطيل ، واذا اقتضت التقصير قصر ، وعندما رأى بليغ العرب سحبان وائل وهو في مجلس معاوية ان المقام يستدعي الاطالة قام فخطب من حين انتهاء صلاة الظهر والى ان حل وقت العصر(١) ، من دون ان يرى احد الحاضرين ان ذلك مخالف للبلاغة او خارج عن اصول الكلام .

وقد اجاب على هذه الشبهة عدد من الكتاب ، منهم الدكتور زكي مبارك الذي يقول :

« ان مسألة الايجاز والاطناب كانت تجري في الغالب على مقتضى الحال ، فكان الكاتب يوجز تارة ويطنب اخرى ، وفقا للظروف التي يكتب فيها رسالته ، وكان من الخطباء من يطيل وكان منهم من يوجز ، ولا يرجعون في ذلك الى قاعدة غير المناسبات التي توجب الكلام ، فتقضي مرة بالاطناب وتقضي حينا بالايجاز . وسحبان وائل الذي عرف بالتطويل وبانه كان يخطب احيانا نصف يوم اثرت عنه الخطب القصيرة الموجزة » .

« ورسائل علي بن ابي طالب وخطبه ووصاياه وعهوده الى ولاته تجري على هذا النمط فهو يطيل حين يكتب عهدا يبين فيه ما يجب على الحاكم في سياسة القطر الذي يرعاه ، ويوجز حين يكتب الى بعض خواصه في شأن معين لا يقتضي التطويل »(٢) .

---

(١) سرح العيون : ٨٠ .
(٢) النثر الفني : ١/٥٨ـ٥٩ .

جواب الشبهة الرابعة :

ان السجع والازدواج اللفظي ليس شيئا غير معروف في ذلك العصر كما يزعم الدكتور احمد امين(١) ، وحسبنا فيه انه اسلوب القرآن الكريم ،وما احرى تلميذ القرآن بالسير على منهج القرآن حتى في الاسلوب والتعبير وفن صياغة الكلام .

وقد روى المحدثون والمؤرخون سجعا وازدواجا في كلام النبي ـ ص ـ(٢) وكلمات بعض الصحابة ، ولكن دليل القرآن هو الاصل ، وقد سار الجميع على هدى هذا الكتاب وتأثروا باسلوبه .

ويقول الدكتور زكي مبارك معلقا على ذلك :

« وقد رأينا التوحيدي يخترع حديث السقيفة ويرى من الفن ان ينطق الصحابة بكلام مسجوع لانه كان يعرف لغتهم كذلك»(٣) .

واذن . فالكلام المسجوع كان معروفا ومألوفا يومذاك ، ولا مجال للشك في صحة نسبة مثل هذاالكلام للنبي وصحابته ومعاصريه .

---

(١) فجر الاسلام : ١٤٩ .
(٢) شرح نهج البلاغة : ١/١٢٨ـ١٣٠ .
(٣) النثر الفني : ١/٦٩ .

جواب الشبهة الخامسة :

ان دقة الوصف لشيىءما فرع التأمل الدقيق في ذلك الشيىء وكلما كان التأمل اعمق وادق وكان الوصف اشمل واكمل كان معنى ذلك ان المتأمل على جانب كبير من الذكاء والعبقرية . وهؤلاء العلماء الذين عرفهم العلم في كل عصوره كان نبوغهم مستندا الى التأمل في الاشياء وفي البحث عن كنهها واعماقها المجهولة ثم وصف ما يجهله الناس من ذلك الكنه الغامض وتلك الاعماق التي لم يعرف بنو الانسان عنها شيئا .

ولا اظن ان انسانا ينكر على اي عالم من هؤلاء دقة وصفه وعمق غوره وكشفه الاسرار والاستار الخفية المجهولة .

فلماذا ينكر الدكتور احمد امين(١) واشباهه على علي ان يصف الجرادة بدقة او يتحدث عن النملة بعمق ؟! .

انها مسالة فيها نظر !

وحتى « الطاووس » الذي كان وصف علي له دليلا ـ لدى بعض المغفلين ـ على كذب نسبة تلك الخطبة للامام لان المدينة لم يكن فيها طواويس ، فقد شاهده الامام بالكوفة « وكانت يومئذ تجبى اليها ثمرات كل شيء وتأتي اليها هدايا الملوك من الآفاق»(٢)،

---

(١) فجر الاسلام : ١٤٩ .
(٢) شرح نهج البلاغة : ٩/٢٧٠ .

وتأمل فيه بدقة ، وعاينه معاينة العالم الذكي العبقري ، وخرج من كل ذلك بما ذكره في خطبته الواردة في نهج البلاغة ، وقد اشار في خلالها الى معنى الملاحظة الفاحصة المبنية على المشاهدة العميقة والرؤية الدقيقة فقال عليه السلام : « احيلك من ذلك على معاينة »(١) .

ولعل ذنب علي فيذلك كله انه كان دقيق النظر باكثر مما كان عليه اهل عصره !.

وانه لذنب كبير بلا شك !!

(١) نهج البلاغة : ١/٣٠٦-٣٠٧ .

جواب الشبهة السادسة :

ان التقسيمات العددية الواردةفي نهج البلاغة ليست بدعا في بابها ، والظاهر ان الدكتور احمد امين لم يكلف نفسه عناء المراجعة عندما كتب يقول عن هذه التقسيمات أنها « انما حدثت بعد ان نقلت الفلسفة اليونانية الى العربية وبعد ان دونت العلوم»(١).

وقد ورد في المأثور من كلام النبي ـ ص ـ : « ثلاثة لايكاد يسلم منهن احد .. الخ »(٢) . « أوصاني ربي بتسع وانا اوصيكم بها .. »(٣) . « اربع من النشر : شرب العسل .. الخ »(٤) .

وورد في المروي عن الخليفة ابي بكر : « ثلاث فعلتهن وددت اني تركتهن ، وثلاث تركتهن وددتاني فعلتهن ، وثلاث وددت اني سالت رسول الله ـ ص ـ عنهن . فاما الثلاث .. الخ »(٥) .

وورد في المروي عن الخليفة عمر : « النساء ثلاث .. الخ »(٦) « الانسان لا يتعلم العلم لثلاث ولا يتركه لثلاث .. الخ »(٧) .

(١) فجر الاسلام : ١٤٩ .
(٢) العقد الفريد : ٢/٣٠٢ .
(٣) العقد الفريد : ٢/٤١٧ .
(٤) المصدر نفسه : ٦/٢٧٢ .
(٥) تاريخ الطبري : ٣/٤٣٠-٤٣١ .
(٦) شرح نهج البلاغة : ١٢/٧١ .
(٧) المصدر نفسه : ١٢/٧١ .

« الرجال ثلاثة .. الخ »(١) . « ثلاث خصال من لم يكن فيه لم ينفعه الايمان .. الخ »(٢) .

الى كثير من امثال ذلك مما هو مروي عن الصحابة والتابعين وغيرهم ، فهل كل ذلك مما لفقه الشيعة على لسانهم ؟ ام ان الشريف الرضي هو الذي وضعه ونحله هذا وذاك ؟! .

واين كان الدكتور احمد امين واضرابه عن هذه النصوص ؟! .

(١) شرح النهج ايضا : ٧٢/١٢ .
(٢) المصدر نفسه ايضا : ١١٨/١٢ .

جواب الشبهة السابقة :

كان علي عليه السلام يخطب بالبصرة ويخبر في خطبته ببعض الملاحم « فقال له بعض اصحابه : لقد اعطيت يا امير المؤمنين علم الغيب . فضحك عليه السلام وقال للرجل وكان كلبيا : يا اخا كلب، ليس هو بعلم غيب وانما هو تعلم من ذي علم .... علمه الله نبيه فعلمنيه ، ودعا لي بأن يعيه صدري »(١) .

وهذا هو قولنا في علم الائمة بالغيب .

تعلم من ذي علم ، وهو رسول الله صلى الله عليه وآله .

ويؤكد هذا المعنى ما اخرجه الشيخ المفيد محمد بن محمد بن النعمان بسنده عن ابن المغيرة قال : « كنت انا ويحيى بن عبدالله بن الحسن عند ابي الحسن [الامام موسى بن جعفر] عليه السلام ، فقال له يحيى : جعلت فداك انهم يزعمون انك تعلم الغيب ، فقال: سبحان الله ... لا والله ما هي الا وراثة عن رسول الله ـ ص ـ »(٢) .

وهكذا يكشف لنا علي وولده موسى بن جعفر عليهما السلام حقيقة علم الغيب الوارد في كلام الائمة ، ولكن عباس محمود العقاد عندما خفي عليه هذا المعنى ولم يقف على كلام الامام في نهج البلاغة سارع الى القول : بأن «النبوءات التي جاءت في نهج البلاغة

(١) نهج البلاغة : ٢٤٥/١ـ٢٤٦ .
(٢) امالي الشيخ المفيد : ١٣ .

عن الحجاج وفتنة الزنج وغارات التتار وما اليها هي من مدخول الكلام عليه ومما اضافه النساخ الى الكتاب بعد وقوع تلك الحوادث بزمن قصير او طويل »(١) .

وهذا من الاشكالات المضحكة !

وعندما يزعم ان ذكر غارات التتار في نهج البلاغة « من مدخول الكلام » و « مما اضافه النساخ » فانه لا يعلم بأن في مكتبات العالم اليوم نسخا من نهج البلاغة قد كتبت قبل عصر التتار وقبل احتلال بغداد من قبلهم(٢) ، وقد ورد فيها هذا النص كما هو مثبت في نهج البلاغة المطبوع ، وكذلك النسخة التي اعتمد عليها ابن ابي الحديد وهي بخط الشريف الرضي(٣) .

فمن ادخل هذا الكلام يا ترى ؟ واي ناسخ اضافه ؟

وهل نسبة علم الغيب الى الوضاعين والناسخين اقرب الى القبول من نسبته لعلي ؟ .

---

(١) عبقرية الامام : ١٤٠ ـ ١٤١ .
(٢) كالنسخة الموجودة في مكتبة السيد محمد محيط الطباطبائي في طهران وتاريخها (٥١٢ هـ) ونسخة مدرسة فاضل خان في مشهد وتاريخها (٥٤٤ هـ) ونسخة مكتبة المتحف العراقي ببغداد وتاريخها (٥٦٥ هـ) ونسخة مكتبة السيد اليزدي في النجف الاشرف وتاريخها (٦٣١ هـ)
(٣) شرح نهج البلاغة : ٣/١٢ .

جواب الشبهة الثامنة :

ان الظروف الاجتماعية المتطورة التي فتحت على المسلمين آفاق الارض لم تصحبها عدالة في توزيع الثروة وفي تنظيم الحياة العامة لهم بالانصاف والمساواة الاسلامية ، فحصل ـ نتيجة لذلك ـ من سوء النظام وسوء التوزيع والاثراء الفظيع لبعض النفعيين على حساب الفقر المدقع للكثرة الكاثرة من الناس ، ما حمل الامام على استعمال هذا الاسلوب الزهدي المشار اليه وعلى تكرار ذلك والتأكيد عليه ليخفف من غلواء هذه الراسمالية العجيبة والطبقية الخطيرة .

وكدليل على صحة هذا الاستنتاج نجد ان افرادا من اصحابه ممن ارادوا الزهد الحقيقي ولم يكونوا من اولئك الذين يخشى عليهم من ان يعميهم حب الدنيا وحب المال قد لامهم على زهدهم المتطرف كمثل قوله لعاصم بن زياد الحارثي عندما بلغه انه لبس العباءة وتخلى عن الدنيا : « يا عدي نفسه ، لقد استهام بك الخبيث ، اما رحمت اهلك وولدك . اترى الله احل لك الطيبات وهو يكره ان تاخذها .. قال : يا امير المؤمنين ، هذا انت في خشونة ملبسك وجشوبة ماكلك . قال : ويحك اني لست كانت . ان الله فرض على ائمة العدل ان يقدروا انفسهم بضعفة الناس كيلا يتبيغ [اي يهيج الالم] بالفقير فقره »(١) .

---

(١) نهج البلاغة : ١/٤٢٢ـ٤٢٣ .

واذن . فلم يكن علي بزهده يريد ان يرسم للناس منهج سلوكهم ، وانما كان يرى في زهده قياما بواجب المركز وشؤون المسؤولية . وقد شرح هو ـ سلام الله عليه ـ ذلك بكل تفصيل في رسالته لعثمان بن حنيف واليه على البصرة ، وكان مما قال له في اثناء هذه الرسالة :

« ولو شئت لاهتديت الطريق الى مصفى هذا العسل ولباب هذا القمح ونسائج هذا القز ، ولكن هيهات ان يغلبني هواي ويقودني جشعي الى تخير الاطعمة ، ولعل بالحجاز او اليمامة من لا طمع له في القرص ولا عهد له بالشبع ، او ابيت مبطانا وحولي بطون غرثى واكباد حرى ؟ . اأقنع من نفسي بان يقال امير المؤمنين ولا اشاركهم في مكاره الدهر ، او اكون اسوة لهم في جشوبة العيش »(١) .

وعندما يصف علي المتقين لايصفهم بالزهد والتصوف وحرمان النفس من طيبات الحياة الدنيا وانما يؤكد « ان المتقين ذهبوا بعاجل الدنيا وآجل الاخرة ، فشاركوا اهل الدنيا في دنياهم ، ولم يشاركهم اهل الدنيا في آخرتهم . سكنوا الدنيا بافضل ما سكنت ، واكلوها بافضل ما اكلت ، فحظوا من الدنيا بما حظى به المترفون . . ثم انقلبوا عنها بالزاد المبلغ والمتجر الرابح »(٢) .

---

(١) نهج البلاغة : ٢/٧١ـ٧٢ .
(٢) نهج البلاغة : ٢/٢٧ـ٢٨ .

جواب الشبهة التاسعة :

ان رواية بضعة فقرات من نهج البلاغة منسوبة لغير علي في بعض المراجع والكتب التراثية امر لايدل على نفي نسبة او تلفيق سند ، كيف وقد حدث مثلها في بعض ما نسب الى النبي ـ ص ـ والى عدد من الصحابة من جمل وفقرات ، كما حدث مثلها في عدد كبير من الشعر العربي القديم .

وليس معنى نسبة فقرة نبوية الى غير النبي في كتاب ما ، او نسبة بيت من الشعر الى شاعر ما وغيره ان الحديث النبوي اصبح محل شك او اشكال ، او ان ديوان الشاعر الفلاني قد اصبح مرفوض النسبة والسند.

هذا كله ، بالاضافة الى تلك الحملة الشعواء التي شنها الحكم الاموي وعدد من الحكام العباسيين على شخص علي بفضائله ومناقبه واحاديثه وتاريخه ، مما حدا بالكثير الى كتمان ما يعلمه اولئك عن علي ، والى الاستشهاد بكلامه من دون تصريح باسمه في معظم الاحيان .

وعندما يعلن الخليفة ـ وهو الحاكم المطلق ـ براءة الذمة ممن يذكر ابا تراب بخير ، ايبقى مجال لتداول كلامه بين الناس علنا ، واذا كان الجواب بالنفي صحيحا ـ وهو صحيح قطعا ـ فلماذا يتعجب محمود محمد شاكر من كون حديث علي (ع) عند القاسم بن سلام بمقدار ربع حديث عمر بن الخطاب (رض) ، وهل يكون ذلك دليلا على الشك في نهج البلاغة ؟!

جواب الشبهة العاشرة :

كثيرة هي المصادر التراثية المعتمدة التي تروي كلام علي وخطبه ، وقد سبق تاليفها على عهد الشريف الرضي جامع نهج البلاغة(١) .

وكان السيد عبد الزهراء الخطيب الحسيني قد احصى (٩١) مصادر مؤلفة قبل سنة ٤٠٠ هـ ـ وهي سنة جمع الشريف للنهج ـ قد استشهدت بكلام الامام وخطبه ورسائله(٢) وحملت الى الاجيال التالية تلك النصوص العلوية دون ان تبدي اي شك في ذلك او ريب او توقف .

ويكفينا ان نعلم ان من جملة اولئك الرواة القدماء : المفضل الضبي المتوفى سنة ١٦٨ هـ ونصر بن مزاحم المتوفى سنة ٢٠٢ والقاسم بن سلام المتوفى سنة ٢٢٣ هـ وابن سعد المتوفى سنة ٢٣٠ هـ ومحمد بن حبيب المتوفى سنة ٢٤٥ هـ والجاحظ المتوفى سنة ٢٥٥ هـ والسجستاني المتوفى سنة ٢٥٥ هـ والزبير بن بكار المتوفى سنة ٢٥٦ هـ والمبرد المتوفى سنة ٢٥٨ هـ وابن قتيبة المتوفى سنة ٢٧٦ هـ والبلاذري المتوفى سنة ٢٧٩ هـ والبرقي المتوفى سنة ٢٧٤ هـ او ٢٨٠ هـ واليعقوبي المتوفى سنة ٢٨٤ هـ وابا حنيفة الدينوري المتوفى حوالي سنة ٢٩٠ هـ وابا جعفر الصفار المتوفى سنة ٢٩٠ هـ وابا العباس ثعلب المتوفى سنة ٢٩١ هـ وابن المعتز المتوفى سنة ٢٩٦ هـ والطبري المتوفى سنة ٣١٠ هـ وابن دريد المتوفى سنة ٣٢١ هـ وابن عبد ربه المتوفى

(١) وقد روى الشريف عن بعضها مصرحا باسمه : كالبيان والتبيين للجاحظ والمغازي لسعيد بن يحيى والمقتضب للمبرد وتاريخ الطبري .

(٢) مصادر نهج البلاغة واسانيده : ١/٢٧-٣٧ .

سنة ٣٢٨هـ والزجاجي المتوفى سنة ٣٢٩هـ والجهشياري المتوفى سنة ٣٣١ هـ والكندي المتوفى سنة ٣٥٠ هـ وابا الفرج الاصبهاني المتوفى سنة ٣٥٦هـ والقالي المتوفى سنة ٣٥٦هـ .

وعندما نقف على مؤلفات هؤلاء الاعلام وما فيها من كلام الامام عليه السلام نجد كم كان محمود شاكر بعيدا عن الموضوعية والجدية عندما قال :

« ان بين جمع هذه الاقوال وبين وفاة علي رضي الله عنه نحو اربعة قرون ، وهذه الاقوال لم يروها الرضي او اخوه المرتضى (كذا) باسناد متصل ينتهي الى علي ، فكيف نثق بهذه الرواية المرسلة بلا اسناد صحيح ، مع هذه الدهور المتطاولة التي تفصل بين علي امير المؤمنين وبين جامع هذه الاقوال » .

وكذلك يتضح مقدار المجانبة عن الصواب في كلام الدكتور شفيع السيد اذ يقول :

« وكان منهج الرضي في تسجيل النصوص من العوامل التي استندوا اليها [اي المشككون] في تاييد وجهة نظرهم ، ذلك انه في الاعم الاغلب من الاحيان يورد النصوص منسوبة الى الامام علي دون توثيقها بذكر المصادر التي سبقته الى روايتها ، او الشيوخ الذين روى عنهم » .

كما يتضح ايضا مدى الكسل في مراجعة المصادر عند الدكتور طه حسين او التسرع في اصدار الاحكام عندما يقول فيما يروي عنه الدكتور الدسوقي والعهدة عليه :

« ان في بعض كتب التاريخ مثل الطبري والبلاذري خطبا للامام علي ، وهذه يمكن قبولها وصحة نسبتها اليه » ..

وكان الطبري والبلاذري هما الوحيدان ! وكان عالم يرويها من كلام الامام لم يرد في مصدر آخر ولم يروه راو غيرهما !

وبعـــد :

فلعل من اجمل ما نختم به الحديث عن نهج البلاغة ان نقرأ فقرا مما كتبه المستشرق الفرنسي الشهير هنري كوربان عن هذا الكتاب العظيم اذ قال :

« وتاتي اهمية هذا الكتابفي الدرجة الاولى ؛ بعد القـرآن واحاديث النبي ، ليس بالنسبة للحياة الدينية في التشيع عموما وحسب ، بل بالنسبة لما في التشيع من فكر فلسفي . ويمكـن اعتبار نهج البلاغة منهلا من اهم المناهل التي استقى منها المفكرون الشيعة ... وانك لتشعر بتاثير هذا الكتاب بصورة جمة مـــن الترابط المنطقي في الكلام ؛ ومن استنتاج النتائج السليمة ؛ وخلق بعض المصطلحات التقنية العربية التي ادخلتعلى اللغة الادبيـــة والفلسفية فاضفت عليها غنى وطلاوة ، وذلك انها نشات مستقلـة عن تعريب النصوص اليونانية »(١) .

* * *

ومهما يكـن من امر .

فسيظل « نهـج البلاغـة » تبراسا مشعا يهتـدي بنـوره السائرون ، وينهل منه المنتهلون ، ولـن يستطيع الضباب مهمـا تكاثف حجمه واتسع امتداده ان يحجب الشمس عن العيون .

وصدق الله العلي العظيم اذ يقول :

(اما الزبد فيذهب جفاء واما ما ينفع الناس فيمكث فـي الارض) والحمد لله رب العالمين .

---

(١) تاريخ الفلسفة الاسلامية : ٨٠-٨١ .

فهرست المصادر والمراجـع

١ ـ امالي الشيخ المفيد — النجف ١٣٦٧هـ

٢ ـ البلاغ/مجلة/الجمعية الاسلامية للخدمات الثقافية — بغـداد ١٣٩٥هـ

٣ ـ تاريخ آداب اللغة العربية لجورجي زيدان — القاهرة ١٩٣٠ م

٤ ـ تاريخ الادب العربي لبروكلمان ـ الترجمة العربيـة ـ — القاهرة «د.ت»

٥ ـ تاريخ الادب العربي / العصر الاسلامي للدكتور شوقي ضيف — القاهرة ١٩٧٤م

٦ ـ تاريخ الامم والملوك للطبري — القاهرة ١٩٦٣م

٧ ـ تاريخ الفلسفة الاسلامية لهنري كوربان ـ الترجمة العربية ـ — بيـروت ١٩٦٦ م

٨ ـ تلخيص البيان للشريف الرضي — القاهرة ١٣٧٤هـ

٩ ـ حقائق التاويل للشريف الرضي — النجف ١٣٥٥هـ

١٠ـ ديوان ابي الاسود الدؤلي — بغـداد ١٣٨٤هـ

١١ـ سر حالعيون لابن نباتة — القاهرة ١٣٧٧هـ

١٢ـ سنن ابن ماجة — القاهرة ١٣٧٢هـ

١٣ـ شرح نهج البلاغة لابن ابي الحديد — القاهرة ١٣٧٨هـ

١٤ـ صحيح البخاري — القاهرة «محمدعلي صبيح»

١٥ـ عبقرية الامام للعقاد — القاهرة ١٩٥٢ م

١٦ـ العربي/مجلة/وزارة الاعلام الكويتية — الكويت ١٩٧٦ م

١٧ـ العقد الفريد لابن عبد ربه — القاهرة ١٣٧٥هـ

١٨ـ الغدير للأميني — النجف ١٣٦٥هـ

١٩ـ فجر الاسلام للدكتور احمد امين — القاهرة ١٣٧٠هـ

٢٠ـ الكاتب/مجلة/الهيئة المصريةالعامة للكتاب — القاهرة ١٩٧٥ م

٢١ـ الكامل لابن الاثير — القاهرة ١٣٤٨هـ

٢٢ـ لسان الميزان لابن حجر — الهند ١٣٢٩هـ

٢٣ـ المجازات النبوية للشريف الرضي — القاهرة ١٣٥٦هـ

٢٤ـ مرآة الجنان لليافعي — الهند ١٣٣٧هـ

٢٥ـ مشكاة الانوار ليحيى العلوي — القاهرة ١٩٧٣ م

٢٦ـ مصادر نهج البلاغة للحسيني — النجف ١٣٨٦هـ

٢٧ـ المعقول واللامعقول في التراث العربي للدكتور زكي نجيب محمود — بيروت « دار الشروق »

٢٨ـ الموفقيات للزبير بن بكار — بغداد ١٩٧٢ م

٢٩ـ النثر الفني في القرن الرابع الهجري للدكتور زكي مبارك — القاهرة ١٣٥٢هـ

٣٠ـ نهج البلاغة/تعليق الشيخ محمد عبده — للقاهرة « البابي الحلبي »

٣١ـ الهلال/مجلة/دار الهلال المصرية — القاهرة ١٩٧٥ م

٣٢ـ الوافي بالوفيات للكتبي — القاهرة ١٩٥١ م

٣٣ـ وفيات الاعيان لابن خلكان — القاهرة ١٩٤٨ م

فهرست مطالب الكتاب

تقديم	٥ ـ ١٠
من هو جامع نهج البلاغة ؟	١١ ـ ١٢
شروح نهج البلاغة	١٢
بلاغة علي (ع)	١٣ ـ ١٤
شكوك بعض الكتاب	١٤ ـ ١٧
رد ابن أبي الحديد على مجمل الشكوك	١٧ ـ ٢٠
رد بعض المتأخرين على تلك الشكوك	٢٠ ـ ٢١
تفصيل الشبهات	٢٢ ـ ٢٣
جواب الشبهة الاولى	٢٤ ـ ٢٦
جواب الشبهة الثانية	٢٧ ـ ٢٨
جواب الشبهة الثالثة	٢٩
جواب الشبهة الرابعة	٣٠
جواب الشبهة الخامسة	٣١ ـ ٣٢
جواب الشبهة السادسة	٣٣ ـ ٣٤
جواب الشبهة السابعة	٣٥ ـ ٣٦
جواب الشبهة الثامنة	٣٧ ـ ٣٨
جواب الشبهة التاسعة	٣٩
جواب الشبهة العاشرة	٤٠ ـ ٤١
ختام البحث	٤٢
فهرست المصادر والمراجع	٤٣ ـ ٤٥

رقم الايداع في المكتبة الوطنية ـ ببغداد
١٢٧٨ لسنة ١٩٧٧

مطبعة اوفسيت الميناء